

والمستشفيات بإنشاء صناديق وقفية من أجل مساعدة المرضى والمحتاجين منهم خاصة.

المبحث الرابع: أهمية الأوقاف في الجوانب التعليمية والدعوة إلى الله

العلم والتعليم، والدعوة إلى الله شأنان عظيمان، ومهمتان ساميتان رفع المولى سبحانه وتعالى من شأنهما، وأجلّ من قدرهما، وأعزّ ووفّق القائمين عليهما، والمشتغلين بهما ووعدهما بالأجر الكبير والثوبة العظيمة في الآخرة فضلاً عن رفعة الشأن والتقدير والتوقير بين الناس في الدنيا، وقد عني الإسلام بهما أيما عناية يندر أن يوجد مثلها في أي تشريع أو نظام آخر سابق أو لاحق، ويكفي شرفاً في ذلك أن أول آية نزلت في كتاب الله تدعو إلى القراءة التي هي باب العلم والتعلم، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَقٍ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: 1-5] والمتأمل والمتدبر في تلك الآيات الكريمة يجد أنها بدأت أولاً بالقراءة ثم جمعت بعد ذلك بين القلم الذي هو وسيلة الكتابة ورمز العلم والتعليم وبين تعليم الإنسان ما لم يعلم، لترسم المنهج القويم للدين الإسلامي ولتقرر بأن هذا الدين فضلاً عن كونه في المقام الأول هو دين التوحيد الخالص لله وحده فهو دين العلم، وإن أجل تلك العلوم وأشرفها ما ارتبطت منها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتعليم الناس أمور دينهم، ودعوتهم إلى الحق وإلى صراط الله المستقيم، طاعة لأمر المولى سبحانه وتعالى في ذلك، القائل في محكم التنزيل: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: 104]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: 122]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: 108]، وقد أجلَّ الله سبحانه العلماء ورفع من قدرهم وشأنهم من خلال نصوص كثيرة في كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11] وأخبر المولى سبحانه وتعالى أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله لمعرفة حق سبحانه وتعالى، ومعرفة حدود الحلال والحرام ووجوب الالتزام بما أمر، واجتناب ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ آلُ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمْتُوا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]، وأنهم إن تحقق فيهم العلم الحقيقي كما أراده الله وخشية الله فهم بعون الله وتوفيقه سوف يكونون في منأى عن الزلل وعن الخوض فيما لا يعلمون من الأمور قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: 7]، طاعة الله سبحانه وتعالى في ذلك القائل: ﴿لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مِنَّا ظَالِمِينَ أَوْ أُحْطِئْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: 286]، إيماناً وقناعة منهم بأن طاعة الله ورسوله فضلاً عن كونها واجبة فإن فيها الإحياء الحقيقي للناس قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: 24]، وقوله: ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: 71].

وانطلاقاً من هذا القدر الكبير للعلم والعلماء والتعليم في الإسلام، وللدعوة إلى الله على بصيرة والحفاظ على دين الله وضرورتها الشديدة في المجتمعات الإسلامية لرفعة شأنها ووقتها وتقدمها ولنشر دين الله فيها والحفاظ على أمور الدين، وعلى

سلامة المعتقد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قامت الأوقاف الإسلامية بدور رائد في هذين المجالين على مرّ العصور فكانا - أي العلم والدعوة إلى الله - في أولويات اهتمامات الأوقاف الإسلامية ومحل رعايتها وعنايتها على مرّ العصور ووقفاً وإنفاقاً عليهما وصيانة وحفظاً لهما، وتقديراً ورعاية للقائمين عليهما مما مكّنهم من القيام بدورهم في تلك المجالات من خلال تلك الأوقاف الإسلامية، والتمكن من الإنفاق على مجالات العلم والتعليم، وبخاصة علوم الدين وتحفيظ كتاب الله وكل ما يتعلق ويرتبط بتلك العلوم، وكذلك الأمر من خلال الأوقاف التي تم وقفها على مجالات الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ دين الله حيث تمكن القائمون على تلك المجالات بفضل الله أولاً، ثم بفضل تلك الأوقاف من القيام بواجبهم على خير وجه في الجانبين وأداء رسالتهم وتخريج الكثير من طلاب العلم الذين أثروا الحياة العلمية في المجتمعات الإسلامية بكل ما هو نافع ومفيد ونشر دين الله في الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمان سلامة المعتقد وتصحيح الزلل والخطأ بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان للأوقاف الإسلامية أثرها الجلي في تلك المجالات، من خلال ريعها الذي كان يمثل الرافد الثري الذي يمد تلك المجالات بما يعينها ويوفر نفقاتها ويلبي متطلباتها والتزاماتها الضرورية.

ففي مجال العلم والتعليم وبخاصة في العلوم الشرعية نجد أن الأوقاف الإسلامية التي وقفت على تلك المجالات قد أدت دوراً رائداً ومميزاً في المجتمعات الإسلامية يصعب حصره في هذه العجالة، لكن القاسم المشترك لهذا الدور العظيم للأوقاف في مجال العلم والتعليم أنها كانت العمود الفقري لهما في أوقات لم تكن هناك جهات رسمية مسؤولة عن تلك المجالات كما هو الحال في العصر الحديث، من وجود وزارات وجهات رسمية مسؤولة عن التعليم، فكان الاعتماد بالكلية يكاد يكون على أموال الأوقاف وريعها الذي تغله للإنفاق على التعليم وعلى حلق العلم وحلق تحفيظ القرآن الكريم، بل شملت تلك الرعاية والعناية كما نقلت لنا المصادر التاريخية في تلك المجالات كل ما يتعلق بالعلم والتعليم، سواء أكان في رعاية حلق العلم التي كانت بالمساجد، أم في إنشاء المدارس والإنفاق عليها والتي كان الوقف يمثل المورد الأساس لها، وذكرت تلك المصادر المتعددة أن كل مؤسسات التعليم التي أنشئت في بداية العصور الإسلامية الأولى كانت قائمة على أساس نظام الوقف، وأنه لو لا الوقف

وبخاصة في العصر المملوكي لما كان بالإمكان أن تقوم قائمة للمدارس، وقد تعددت أوجه الإنفاق في هذا المجال لتشمل جوانب كثيرة منها بناء المدارس وتوفير المدرسين وتوفير حاجات الطلاب من كتب وحبر وورق بل وخبز ولباس، فيذكر لنا التاريخ أن أبا صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن النيسابوري كان يقوم برعاية الودائع من كتب الحديث، وكان يقوم بصيانتها ويتعهد بحفظها من أموال الأوقاف، كما يتولى أوقاف المحدثين من الحبر وغيرها، وفي وقف المدرسة العمرية في القدس، وقف للخبز يوزع فيها ألف رغيف أو نحوه وغيرها من الأطعمة اليومية لطلاب العلم، وأوقاف على قمصان وأطباق وأباريق للوضوء وزيت للإضاءة لطلاب العلم، فانتشرت حلقات العلم والمدارس وكل ما يتعلق ويرتبط بالعملية التعليمية، بفضل الله أولاً ثم بفضل الأوقاف التي كانت موقوفة عليها، وتقف مساجد العالم الإسلامي شاهداً على مدى الدور الذي قامت به حلقات العلم وتحفيظ القرآن الكريم وغيرها من العلوم الشرعية في تلك المساجد، مثل المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي بالمدينة، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، ومسجد قرطبة، والجامع الأموي، ومسجد عمرو بن العاص بالقاهرة، إلى الدرجة التي تطورت بعض حلقات العلم في تلك المساجد إلى أن أصبحت جامعات مثل: جامع قرطبة، والجامع الأزهر، وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، وكانت غلال الأوقاف الخيرية هي الممول الرئيس لتلك المناشط العلمية.

وعليه فإن ما سبق ذكره في هذه العجالة يشكل حافزاً لنا على أن نعود بالأوقاف في هذا المجال وغيره من المجالات إلى سابق عهدها، وبخاصة في ظل زيادة أعداد السكان في المجتمعات الإسلامية، وارتفاع كلفة التعليم، وعدم قدرة بعض تلك الدول على القيام - وحدها - بأعباء ونفقات تعليم أبنائها، وحاجتها الماسة إلى رافد يساندها جهودها في هذا المجال، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الأوقاف، التي يتم وقفها على المجالات التعليمية بالإضافة إلى تبرعات وهبات الموسرين في كل دولة للإنفاق على الجوانب التعليمية ودعمها حتى تعود المناشط العلمية إلى سابق عهدها وتكون أموال الأوقاف وريعها رافداً رئيساً لها.

وفي مجال الدعوة إلى الله وحفظ دين الله: نجد أن الأوقاف الإسلامية قامت بدور بارز ورئيس في هذا المجال على مرّ العصور الإسلامية، واستناداً إلى عاملين

مهمين في هذا المجال يدفعان الناس من أهل الخير والبرّ والإنفاق في سبيل الله إلى المسارعة للوقف على تلك المجالات.

العامل الأول - يتمثل في كون الوقف من أكد سنن الإنفاق في سبيل الله التي تضمن تزكية النفوس، واستدامة الخير والمعروف، وأنه من أفضل وجوه البرّ والإنفاق الخالصة لوجه الله، وأدومها نفعاً، وأعظمها أجراً، وأعمها فائدة، وأبهاها أثراً، حيث يسهم في المحافظة على تماسك المجتمع وتكامله وتكافله، ويزيل سخائم النفوس، ويشيع المحبة والوئام بين أفراد المجتمع، وقد تواترت على ذكر فضله في الدنيا والآخرة والحث عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة سبق ذكرها في المبحث الثاني عن مكانة الأوقاف الخيرية وضرورتها لتنمية المجتمعات.

أما العامل الثاني - فيتمثل في فضل الدعوة إلى الله، وفضل الاشتغال بها ومكانة العاملين عليها والقائمين بها في ديننا الحنيف كما سبق ذكر ذلك، وفضل تعلم الناس أمور دينهم وأثره العظيم في القيام بأمر الدين وأداء الناس لعبادتهم على الوجه الصحيح، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأثر ذلك في استقامة أمور المجتمع، فضلاً عن الأجر والمثوبة العظيمة في الآخرة التي وعد الله بها القائمين عليها والمشتغلين بها والذين يبذلونها خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، ووقفاً، وإنفاقاً، ودعوة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وكل من يقوم على تلك المجالات النبيلة ويبذلها خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته.

لذا فقد اجتمع لهذا الأمر عاملان رئيسان من عوامل الخير والمعروف ومن أكد الواجبات والسنن في ديننا الحنيف لما هما من فضل عظيم وأجر ومثوبة من الله سبحانه وتعالى للقائمين عليها في الآخرة، مما حفز ودفع الناس وبخاصة الموسرين والقادرين منهم إلى المسارعة إلى الخيرات، والوقف والإنفاق على مجال الدعوة إلى الله، والحفاظ على دين الله حتى يحظى هؤلاء بالثواب العظيم الذي أعده الله سبحانه لذلك، وأيضاً لتلبية حاجات الإنسان الملحة، لأن حاجة الإنسان إلى الدعوة إلى الله أشد من حاجته إلى أي شيء آخر، يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - في ذلك: "حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، وحاجتهم إلى الشريعة

أعظم من حاجتهم إلى التنفس، فضلاً عن الطعام والشراب، لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة فساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا، وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من القيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه، حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة".

لكل تلك الغايات النبيلة، من صلاح المجتمع واستقامته على صراط الله المستقيم، ومن الحفاظ على دين الله، ورد الشبهات عنه، وتعليم الناس أمور دينهم، فضلاً عن المثوبة العظيمة من الله في الآخرة، والتجارة الربحة معه سبحانه وتعالى، وغيرها من الغايات العظيمة التي جعلت الناس في المجتمعات الإسلامية تقف أمواها وأعيانها على الدعوة إلى الله والحفاظ على دين الله وغيرها من مجالات الدعوة فكثرت الأعيان والأموال التي وقفت، وتعددت أوجه الوقف فكانت تغطي جميع مجالات ونفقات الدعوة إلى الله ونفقات القائمين عليها وكل ما يلزمها ويلبي متطلباتها إلى الدرجة التي كانت معها تلك الأموال والغلال في بعض العصور والأوقاف تفيض عن حاجتها، ولا يتسع المجال للاستفاضة في تفاصيل ذلك.

وفي العصر الحديث أيضاً نجد أن أبواب البر والخير والمعروف في مجال الدعوة إلى الله مازالت تفيض بالعطاء الوفير من أهل الخير والموسرين الذين وقفوا الكثير من أمواهم وأعيانهم على هذه المجالات، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، بل إن منهم من أوقف أنفوس ما يملك في تجارة رابحة مع الله لتغطية نفقات هذا الباب العظيم في مجال الدعوة إلى الله، فكما كان السابقون يتنافسون على ذلك، نجد والحمد لله أن اللاحقين يسировون على خطاهم اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته الكرام وسلف هذه الأمة في ذلك، فإن الخير باقٍ في أمة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، فنجد أن الكثيرين منهم يتنافسون على بناء المساجد وكفالة الدعاة، وطباعة الكتب الدعوية والإنفاق على كل ما يتعلق بالدعوة إلى الله وكل متطلباتها وحاجاتها، وعليه فما أحرانا أن نحذو حذوهم وأن نسير على خطاهم على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل صحابته الكرام في هذا المجال، وأن نسعى إلى تطوير هذا العمل الخيري ونفتح آفاقاً

واسعة ونؤصل لمجالات جديدة من الوقف تتناسب ومتطلبات عصرنا الحاضر، وذلك من خلال إنشاء صناديق وقفية تخصص لوجوه البر المختلفة حتى تظل الموارد المالية والدعم المادي الذي يمد مجالات الدعوة إلى الله والحفاظ على دينه معيناً لا ينضب ونبعاً للخير لا ينقطع وحتى نفتح باب الإسهام في دعم هذه الصناديق لجميع فئات المجتمع مما يعكس آثاره العظيمة على الفرد والمجتمع ويتعدى نفعه ليشمل خيري الدنيا والآخرة، وعلينا أن ننظر إلى من حولنا الذين يقفون على الكنائس وقوافلها التنصيرية في العالم، مما وفر لبعض الكنائس دخلاً مالياً وميزانية قد لا تتوافر لبعض الدول.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث عن موضوع "الوقف وضرورته لحل مشكلات المجتمع" أسوق بعض التوصيات للاستئناس بها عند قيام مجمع الفقه الإسلامي بالهند بإنشاء أوقاف جديدة تلي متطلبات المجتمع وحاجته في المجالات الاجتماعية والصحية والتعليمية والدعوية، وهذه التوصيات هي رؤوس أقلام فقط يمكن للمجمع عند الأخذ بها توسعتها وتفعيلها على أرض الواقع من أجل سلامة الأوقاف التي سينشئها المجمع وسلامة مسيرتها، وبالتالي سلامة مخرجاتها من الغلال التي ستكون منابع خير وبر تمد المجتمع بحاجاته ومتطلباته:

- 1- تأسيس تلك الأوقاف في المقام الأول على أصول شرعية صحيحة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفعل صحابته رضوان الله عليهم في هذا المجال.
- 2- العمل على وضع خطة إعلامية هادفة يتم من خلالها توعية الناس بالوقف، والتأصيل الشرعي له، وتعميق مفهومه في حياة المسلمين.
- 3- اختيار الشكل النظامي الملائم لتطوير إدارة أعمال الأوقاف، وفقاً لظروف المسلمين في الهند، مع مراعاة أحوالهم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقانونية.
- 4- تطوير أساسيات التنظيم الإداري ونظم المعلومات في ضوء الشكل النظامي المعتمد، مع الاعتماد على أحدث النظم الإدارية والنظريات العلمية في مجال

الإدارة لتأسيس تلك الأوقاف عليها بما يناسب أعمالها، ويزيد من قدرتها على تحقيق رسالتها بصورة فعالة، وبما يحقق شروط الواقفين، والعمل على استخدام أرقى التقنيات المتاحة من الأجهزة الحاسوبية وغيرها من التقنيات والبرمجيات التي تخدم أعمال الأوقاف.

5- التخطيط السليم لكل أعمال الأوقاف من خلال وضع خطة طويلة المدى وخطط مرحلية قصيرة المدى تحقق في نهايتها الأهداف المرجوة من أعمال تلك الأوقاف.

6- دراسة حاجات ومتطلبات المجتمع بدقة لتحديد المجالات التي سوف تخدمها الأوقاف سواء أكانت اجتماعية أم صحية أم تعليمية أم دعوية أم غير ذلك.

7- استحداث صيغ وقفية واستثمارية جديدة تلبى المتطلبات المذكورة في البند السابق، وتناسب في الوقت نفسه مع المستوى المالي لدخول أفراد المجتمع بحيث تسمح تلك الصيغ لأكثر أفراد المجتمع من الإسهام في أعمال الوقف.

8- إنشاء صناديق وقفية بكل مجال أو مجموعة من المجالات والمتطلبات الملحة التي يحتاجها المجتمع، وذلك حسب درجة وشدة الحاجة إلى دعم المجتمع في هذا المجال.

9- المتابعة الدقيقة والتقييم الدوري لكل أعمال الأوقاف، للوقوف على السلبيات وتفاديها، ورصد الإيجابيات ودعمها، وذلك من خلال إدارة متخصصة في هذا الشأن.

10- تقوية صلة المجتمع برجال الأعمال والموسرين من أبناء المجتمع من خلال قنوات ووسائل مختلفة بما يحقق الدعم المادي والمعنوي لتلك الأوقاف.

11- تسجيل شروط الواقفين بكل دقة لحصر غلال الأوقاف الموقوفة على كل جانب تمهيداً لصرفها في مصارفها الشرعية.

12- استقطاب الكفايات الإدارية والاستثمارية المتميزة والمختصة للعمل في مجال إدارة الأوقاف واستثمارها.